قصوا شعرها

تمثيلية

الياهو آمرك أن تقطعي كل علاقة لك بالأسير العربي.. أفهمت يا سارة!

سارة إنك لن تأمرني بشيء بعد اليوم يا الياهو.. لن أكون مطيـة لأهـواك، تعبث بي كيف تشاء باسم مجد إسرائيل.. ألا لعنة الله عـلى إسـرائيل وعلى دولة إسرائيل وعلى مجد إسرائيل إذا كانت تريد الحيـاة علـى حساب هلاك نفسي وشقاء فؤادي.. ما نصيبي أنا من انتصاراتها، هل أورثتني فلسطين سوى الألم والعذاب، حبيبي فرانك قتل في سبيلها وأنا أصبح جاسوسة مخادعة وبغياً ماهرة فـي اقتنـاص قلـوب العـرب المساكين، وأخي الياهو الشاب النقي الصفحة والسريرة يـصبح قائـد الهاغانا سفاك الدماء، قاتل الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء العزل من السلاح، رحمة بأمي أن لم تحيا لترى بعينيها مصير ولديها وأية هـوة ترديا فيها وأية أدران لوثتهما إلى الأبد لأجل مجد إسـرائيل الزائـف الصوري..

الياهو أيتها الحمقاء ما هذا الذي تتفوهين به؟ أجننت.. أإنتـصارات إسـرائيل مزيفة صورية؟ أشجاعتنا في حرب العرب الصعاليك إجرام؟ أقيامـك بواجبك عمل دنيء؟ ما نحن ومن نحن بالنسبة إلى شعبنا؟ ما سـعادتنا وما شقاؤنا بالنسبة إلى هنائه وحريته؟ إن هلكنا محررين فلقد هلك من قبلنا كثيرون مضطهدين في أوروبا، وإن عـشنا منتـصرين تمتعنـا بخيرات فلسطين وشيدنا دولة لأنفسنا.. فأمنّا الاضطهاد أولاً.. وجعلنـا لنا كياناً مستقلاً، واتسع لنا المجال لإبراز مواهبنا المختزنـة.. ومـن يدري فربما بعد انتصاراتنا في فلسطين نحتل البلاد العربية المجاورة.. ونصبح دولة يخشاها دول العالم، بعد أن كنـا شـعباً مـشتتا مهانـاً مضطهداً؟

سارة إنك تغالط نفسك والحقيقة يا الياهو.. إن وجدت لنا دولة في فلـسطين فإنها تبقى في حياة عليلة تستغل وجودها القوة الاستعمارية.. نحـسب

أنفسنا الغالبين وما نحن سوى ضحية تـسيرنا كيـف شـاءت أهـواء الطامعين. ما شعب إسرائيل إلا كأقزام ليليبوت بين يدي جلفر يكـسبه الإنتصار إن فيه مصلحة ويمنيه بالهزيمة إن وجد فيه مغرماً.

الياهو من لقنك هذا القول؟ أتراه أسيرك العربي؟ أراك تحسنين التحدث بلسانه وبلسان قومه الجوالين الصوالين في ميدان الكلام والغرام..

سارة كفاك يا الياهو.. إنك لا تثيرني بهذا القول. لو كنتم تحاربون بـسلاحكم وحده لكان لكم غير هذا الشأن.

الياهو بسلاحنا أو بغير سلاحنا.. المهم النتيجة.. المهم أننا ننشئ دولة ونستغلّ كل فرصة ممكنة لمنافعنا الذاتية أليست هذه مهارة تساوي القـوة فـي عصرنا الحالي؟ ولكن لم نبتعد عن الموضوع الرئيسي الذي دعوتـك لأجله يجب أن تقطعي كل علاقة لك بالأسير العربي.. فهي تثير حولك الأقاويل.. وتسيء إلى مركزي كقائد الهاغانا.

سارة "وإن لم أفعل".

الياهو إن لم تفعلي أقتلك.. نعم أقتلك.. إنني لا أتورع عن قتل مـن يخـالف أوامري ولو كانت أختي..

سارة نعم إنك لا تتورع.. أعلم ذلك.. إن من اعتاد كل أنواع الإجـرام فلـن يصعب عليه قتل أخته.. كل إنسان قادر على الهدم يا الياهو ولكن مـا أقل من يقدر على البناء.. قنبلة ذرية واحدة لا تبلغ حجم البيـضة بيـد طيار واحد دمرت مدينة بأسرها، فتكت آلاف السكان بدقائق معدودة.. ولكن أخبرني كم من السنوات تحتاجها، مئات اليد العاملة لتعيـد بنـاء المدينة؟ ولكن أخبرني أيعيد تكاتف العالم بأسره الحياة إلى جنة ميتـة؟ نعم كل إنسان قادر على الهدم يا الياهو ولكن ما أقل من يقـدر علـى البناء.. هذا ما أحببت أن أجعلك تدركه.. إنني في لحظـة أسـتطيع أن أكسب عداء كل فرد في الشعب الإسرائيلي، ولكن صداقة فـرد واحـد تلزمني من اللياقة وآداب الحديث وحسن العشرة والتـصرف وضـبط النفس ما يعجز عنه الشخص العادي.. وهذا ما فعلناه نحن مع العرب..

اننا بتعصبنا المستميت وأنانيتنا المستحكمة البغيضة، ووحشيتنا في قتل وإجلاء المدنيين العزل من السلاح، وقسوتنا في معاملة الأسرى، وانتهاكنا حرمة الأماكن المقدسة، ونكثنا للعهود أفعمنا قلوبهم سخطاً علينا.. ومن يدري أن الأيام لن تدير لنا ظهر المجن فيكيلوا لنا الصاع صاعين ولا تأخذهم بنا رحمة، فالحرب والسياسة فرسا رهان والقوى لباس يبلى ويتجدد والحياة انتقام.

الياهو إنك أفعى يا سارة، أفعى سامة مخيفة.. لا تظني لين ملمسك وتماوج شعرك الطويل الذهبي وتورد وجنتيك وبريق عينيك العسليتين تجنبك سوء المصير إن لم تكفّي عن نغمتك المستحدثة وتقطعي علاقتك بالأسير العربي!. إن شعب إسرائيل لن يرحم من تلدغه. ولو كانت أخت قائد الهاغانا. فاعلمي يا سارة، أنك متهمة بتسرب الأخبار إلى العدو، وتوددك لهذا الأسير هو سبب الشكوك والأقاويل إنني أحذرك فإن لم تفصمي حبل هذا الوداد الماضي كنت أول من يفصم حبال حياتك.. إن لكل عهد سياسة يجب أن نسير عليها لمجد إسرائيل.. والويل لمن يخالفها.

سارة أرفض أن يكون قلبي رهن هذه السياسة.. لقد أسأت إليه كثيراً.. كم أرغمته على الخداع والتلون وكنت أحسب أني أقوم بعمل عظيم.. أنتقم لحبيبي فرانك وأساهم في إنشاء دولتنا، ولكني أدركت أخيراً أنني لم أخدع إلاّ نفسي، ولم أنتقم إلاّ من هنائي ولم أساهم إلاّ في إنشاء دولة ساستها وقادتها عصابة مجرمة غايتها النهب والاغتصاب، ومناوءة القوميات الأخرى في عالم المال..

الياهو كفي أيتها اللعينة!!

سارة "إنك يا الياهو واحد من هذه العصابة التي استغلّت الشعب اليهودي، ونزعته من مواطنه الأصلية لتحشده في فلسطين، وأغوته بالشرور بدون مراعاة للأنظمة الإنسانية والألفة البشرية.

الياهو إياك أن تتفوهي بكلمة أخرى!

سارة " لا أخشى أحداً.. وأني لأمقت هذا الطريق المعوج الذي أرغمتني على سلوكه.. إنني لا أبالي بهذا الذي تدعوه شعب إسرائيل إننـي لا أفهـم كيف أنتمي إليه.. إنني أسير بين أناس يختلفون عني في الميول والمنشأ واللغة.. فأية رابطة تجمعني بهم أتراها الرابطة الدينية؟ إنني لا أفهـم من ديني حرفاً كمعظم شباب إسرائيل.. ديني هو قلبي، وقلبـي أسـير السياسة التي أباحت له ألوان الحب لأجل مصلحتها، فقمت بواجبي خير قيام إذ كنت أمثل وأخادع.. ولكني أخيراً شعرت بأن قلبي لا يمثل دوراً مسرحياً، إذ يخفق خفقاته العنيفة عند لقاء الشاب العربي.. إنـك أنـت الذي طلبت إلي مصادقته فرضيت مسرورة وأفلحت في اقتناص قلبـه ولكن بعد أن أصاب قلبي.. إنني منذ ذلك اليوم لا أملك نفسي، وكنـت مخادعة ولكني لم أخدع الشاب العربي بل أنت.. إنني لم أطلعك علـى أسرار حقيقية فكل ما أبلغتك إياه مختلق من نسج خيالي لأبرر مقابلاتي المتكررة له".

الياهو الويل لك من خائنة، أتعلمين أنك كنت سبباً في هـلاك بعـض أفـراد الهاغانا، ذهبوا ضحية طيشك واختلاقاتك الكاذبة؟ كم أتمنـى الآن لـو أطلق رصاصة في هذا القلب القادر الأثيم، لولا أن هـذا لـيس فـي مصلحتي الآن ولكني سأعذبك بما هو أشد وأقسى من القتل..

* * *

سارة سنهرب سويا الليلة.. يجب أن نترك هذا الجحيم!.

الأسير الليلة! ماذا دهاك؟

سارة نعم الليلة.. لم يعد لنا بقاء هنا.. إن الخطر على حياتي كما هو خطـر على حياتك.. لقد زلق لساني وما استطعت كتمان ما يختلج في نفـسي فنقم علي أخي واعتبرني خائنة ولا أظنني بناجية من براثنه.

الأسير ولكن لم فعلت؟

سارة (بصوت متهدج) أرادني على هجرانك فأضعت صوابي..

الأسير (بصوت حنون) أصعب عليك فراقي يا سارة؟

سارة آه

الأسير إني لأعجب لإخلاصك..

سارة ليست الميزة في إخلاصي، فأنا أقل الناس إخلاصاً في الحـب ولكـن فيمن أخلص إليه..

الأسير يا حبيبتي!

سارة عجل لا تضيع وقتاً.. اركب السيارة وسأسوقها بنفسي.

الأسير بل أنا الذي أفعل.

سارة احذر في طريقك باب نيتر، فهناك يكمن الخطر..

الأسير لست أحذر سوى عينيك!

سارة بل احذر باب نيتر.. وامرق بالسيارة كالسهم فيطيش عنا الرصـاص.. واحذر الخندق على جانب الطريق فكم هوى فيه من العائلات العربيـة النازحة..

الأسير ألمصر نسافر؟

سارة إلى حيث تشاء.. كل مكان إلينا جميل بعيـدين عـن الجـو الـسياسي والثوروي الخانق..

الأسير أتظنين أن بوسعنا الابتعاد عن هذا الجو يا سارة إن لي واجبـاً نحـو فلسطين..

سارة ومن يقوم بواجبه؟

الأسير ان لي هدفي!

سارة أهذا رأيك الأخير؟

الأسير نعم ولكن- سارة ما بك؟ ما هذا الوجوم؟ سأضعك في مكان أمين ريثما تنجلي السحب.. و...

سارة افعل ما بدا لك، وسأنزل عند رغبتك..

الأسير كما أنا سعيد!

سارة إني أحب الحياة العربية. .فيها شيء آلفه وأحن إليه. وفيهـا الطهـارة والاحتشام كما أرتاح إليه.. أحب الحياة معك يا رجائي، ولا أسـتطيع

عنك فراقاً. انتبه لقد اقتربنا أرجوك دعني أسوق عنك الـسيارة إنـك حديث عهد بمجاهل هذا الطريق لنجتاز هذا الممر بسلام.

رجائي كما تشائين!

(إطلاق عيارات نارية)

سارة في جيبي مسدس تناوله أسرع! (تبادل عيارات)

رجائي سارة! ماذا أصابك؟ لم أفلت المحرك؟ يا إلهي لقـد هلكنـا (تتـدهور السيارة في الخندق)

سارة ورجائي (برعب) آه! آه! آه!

* * *

أحد جنود الهاغانا (لرفيقه) صباح بارد.

الرفيق تعال لنرى ما حدث للسيارة العربية المتـدهورة ليلـة البارحـة ستضحك كثيراً وتشعر بالدفء

الجندي الأول آه طبعاً طبعاً

الثاني من هذه؟ إنها تبدو كأخت قائد الهاغانا الياهو فنادرات مـن لهـن مثل هذه السبيكة الغزيرة المتموجة.

الأول ومن هذا الملقى إلى جانبها.. لعله الأسير العربي! يا للخائنة؟

الثاني لقد أشيع أنها تحبه.. إذن حق ما قيل بأنهـا تتجـسس لحـساب الأعداء..

الأول ماذا نفعل بها؟

الثاني نخرجها ونقدمها للمحكمة العسكرية.

سارة أردت أن نموت سوياً ساعة قنوطي فأوهمتك غير ما أضـمرت.. لقد أدركت إنني سأعيش منغصة لا حياة لي بين قومي ولا راحة لي بين قومك.. ولكن شاء الحظ العاثر أن تهلك أنت وأعيش أنـا لأشقى بمصرعك ولأنتظر عقابي.

الحاكم العسكري سارة حاييم إنك متهمة بالتجسس لحساب الأعداء وبتسهيل الفرار لأسير عربي..

سارة أما التهمة الأولى فغير صحيحة.

الحاكم العسكري وأما الثانية فصحيحة.

سارة نعم.

الحاكم العسكري أنت تعترفين بذنبك ألا تبررين مسلكك؟

سارة كلا

الحاكم إن عقاب الخائنين هو الإعدام السريع، ولكنك امـرأة فيجـب أن يكون عقابك ملائماً.. لقد حكمت المحكمة العسكرية عليك أيتهـا المرأة بحلاق شعرك لتصبحي ضحكة شعب إسرائيل.

المتفرجون نعم احلقوا شعر الخائنة، احلقوا شعر الخائنة!

سارة شعري! ويلاه! هذا فظيع اقتلوني قبل أن تمسوا منه شعرة.. ماذا فعلت لأنال هذا العقاب، لأنني أحببت رجلاً في الحياة لم ترتضيه سياسة إسرائيل؟ ولكنه ذهب.. إنه أسير في أيد أرحم من أيديكم. ففيم هذا العقاب الصارم.

الحاكم ليدخل الحلاق أيها الحاجب.. الخائنة لا تـستحق هـذه الـسبيكة الذهبية.

سارة أيها الوحوش.. إنني أحتقركم إنني أكـرهكم إن الله لـن يمـتعكم بانتصار.. وسيهزمكم شر هزيمة إنكم شعب تموت فيه الفـضيلة مداسة بالأقدام ولذا لن تحيوا ولن تبلغوا أمانيكم..

الحاكم نفذ الحكم أيها الحلاق!

سارة ابتعد أيها الجلاد.. أما من أحد تثور في نفسه المروءة فينقذ فتـاة مستضعفة لم تجن ذنباً؟

صوت الياهو أنا أنقذك يا سارة (طلقة نارية)

سارة آه ! شكراً.. لك.. يا.. اليـ ـ ـاهو....

* * *